أصول التفسير
في مقدمات كتب التفسير

إعداد

د. سلمى داود إبراهيم بن داود

أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

أصول التفسير
في مقدمات كتب التفسير

ملخص البحث:

يعتبر علم أصول التفسير من أهم علوم القرآن الذي تطرق إليه علماء الأمة خلفا وسلفا – رضوان الله تعالى عليهم -إذ بمعرفته يستطيع المسلم أن يقف على أرضية صلبة ينطلق منها لتفسير كتاب الله تعالى، معتمداً على قواعد كلية تعين على فهم القرآن مقتفياً أثر السلف الصالح، ومن حُرم الأصول حُرِم الوصول، ومن خلال النظر في هذا الموضوع، واستقراء مقدمات المفسرين، فإن البحث سيُقسّم إلى قسمين: التعريفات، ومناهج المفسرين.

أما القسم الأول : فسيحدد مفهوم مصطلح أصول التفسير، وموضوعاته، وهي :

١- تعريف التفسير، والتأويل، والفرق بينهما.
٢- تعريف أصول التفسير.
٣- الفرق بين علوم القرآن، وعلوم التفسير، وأصول التفسير.
٤- طرق التفسير : أ/ التفسير بالمأثور، ب/ التفسير بالرأي.
٥- أوجه اختلاف السلف في التفسير ويتضمن : أسباب الاختلاف، وأنواعه.

وأمّا القسم الثاني : النتائج المستخلصة من استقراء نماذج من كتب التفاسير، وفيه :

٦- قائمة بأهم كتب التفسير المتضمنة لأصوله في تاريخ الأمة.
٧- جدول يضم أهم كتب التفسير، وموضوعات مقدماتها في أصول التفسير.
٨- جدول بموضوعات أصول التفسير، ومن كتب فيها من المفسرين في مقدمة تفسيره .
٩- التعليق على الجداول.
١٠- الموازنة بين موضوعاتهم.

كما سيبيّن البحث: أهم موضوعات أصول التفسير التي أشاروا إليها جميعهم في مقدمة تفاسيرهم ، والموضوع المشترك بين جميع المفسرين بلا استثناء، والموضوع المذكور عند غالبيتهم، والموضوعات التي زادها المعاصرون عن سلفهم، وما اتسمت به هذه المقدمات.

ثم ختم البحث بخاتمة تضمنت بعضاً من أهم نتائجه،ثم الفهارس اللازمة.

والحمد لله على توفيقه وامتنانه.

Fundamentals of Interpretation in the prefaces of Interpretation Books

Researcher: Salma Dawood Ibrahim Dawood.

Abstract:

The science of Fundamentals of Interpretation is considered one of the most important Quran sciences that scholars of the nation dealt with- successors and ancestors –May Allah be satisfied upon them- This is because by acquaintance this science, a Muslim can stand in a solid ground from which he would advance towards explaining The Holy Book of Allah be He Exalted. He will depend upon integrated foundations that help understand The Holy Quran following the traces of the true virtuous ancestors. As it is said the one who is deprived from the principles would consequently be deprived from the access and attainment. Through regarding this topic and inducting the introductions of the expositors, this research will be divided into two parts: Definitions, and the expositors' approaches.

For the first part will define the conception of the term "interpretation principles" and its topics, namely:

١- The definition of the term "Interpretation" and "Explanation" and the difference between them.

٢- The difference between Quran Science and interpretation science and interpretation principles.

٣- Methods of interpretations: A) interpreting using the quoted or transmitted. B) Interpreting using opinion.

٤- The aspects of variation among the ancestors in the interpretation including: Reasons of this variation, difference, and its types.

The second part includes: The extracted results in studying samples of the interpretation books and in it the research will expound the following:

٥- A list of the most important interpretation books that include its principles in the nation history.

٦- A table that includes the most important interpretation books, and the topics of their introductions concerning the interpretation principles.

٧- A table about the topics of the interpretation principles and those expositors who wrote about them in their interpretation forewords.

٨- Commenting upon the tables.

٩- Balancing their topics.

The research -as well- will explain the most important topics of the interpretation principles that all the expositors had referred to in the forewords of their interpretations, and the common topic among all the expositors. Moreover, the mentioned topic by all of them. The research will indicate these topics the contemporary have added to those of their ancestors. In addition, it will show what these forewords have been characterized by. Then the research is concluded by a conclusion that includes some of its most important results and outputs followed by the necessary indexes.

Praise be To Allah for His successfulness and gratefulness.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

الحمد لله القائل:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[ص٢٩]، والصلاة والسلام على القائل:"خيركم من تعلم القرآن وعلمه"(١)، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم في تعلم الكتاب والعمل به.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب هداية، وإرشاد، والمؤمن يردّ كل شيء إلى كتاب ربه عز وجل، وما زال العلماء منذ نزوله يتعاقبون على دراسته، ويعكفون على النهل من معينه، والتزود من هدايته.

وكان لعلماء التفسير من ذلك أوفر الحظ والنصيب حيث صرفوا هممهم لتدبر كتاب ربهم، وفهم مراده -عزّ وجّل- فكان من ذلك المؤلفات العظيمة في التفسير على اختلاف مناهج أصحابها، وكانت لمقدمات تفاسيرهم شأن عظيم، فهي مشحونة بالفوائد الجمة، وممتلئة بموضوعات علوم القرآن عامة، وأصول التفسير خاصة، ونظراً لذلك رأيت أن أقف على بيان جهود الأمة في أصول التفسير من خلال تلك المقدمات رغبة في إظهار تراث علمائنا السابقين والإشارة إلى سعة إطلاعهم وعلمهم، إذ لم يغفلوا عن ذكرها كما يتوهم من قبل بعض المتأخرين، باعتبار أن علم أصول التفسير من العلوم المتأخرة، وإسهاماً في إبراز جهود المتأخرين في تتمة مسيرة بناء هذا العلم، وقد سُميّ البحث بـ (أصول التفسير في مقدمات كتب التفسير).

وقد صُدِّر البحث بمقدمة، وقسمين: التعريفات، ومناهج المفسرين فى مقدماتهم.

أما القسم الأول: فسيحدد مفهوم مصطلح أصول التفسير، وموضوعاته وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفسير، والتأويل، والفرق بينهما.

المبحث الثاني: تعريف أصول التفسير.

المبحث الثالث: الفرق بين علوم القرآن، وعلوم التفسير، وأصول التفسير.

المبحث الرابع: طرق التفسير: المصادر المتفق عليها، والمختلف فيها.

ومن ذلك: التفسير بطريق الاستدلال بـ :(القرآن، والسنة، وبأقوال الصحابة، وبأقوال التابعين، وباللغة).

المبحث الخامس: أوجه اختلاف السلف فى التفسير ويتضمن: أسباب الاختلاف، وأنواعه.

وأمّا القسم الثانى: النتائج المستخلصة من استقراء مقدمات كتب التفاسير، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: قائمة بأهم كتب التفسير المتضمنة لأصوله في تاريخ الأمة

المبحث الثاني: جدول يضم أهم كتب التفسير، وموضوعات مقدماتها في أصول التفسير.

المبحث الثالث: جدول بموضوعات أصول التفسير، ومن كتب فيها من المفسرين في مقدمة تفسيره .

المبحث الرابع: التعليق على الجداول.

المبحث الخامس: الموازنة بين موضوعاتهم، وفيها خمسة مطالب:

المطلب الأول: أهم موضوعات أصول التفسير التى أشاروا إليها جميعهم في مقدمة تفاسيرهم.

المطلب الثاني: الموضوع المشترك بين جميع المفسرين بلا استثناء.

المطلب الثالث: الموضوع المذكور عند غالبيتهم.

المطلب الرابع: الموضوعات التي زادها المعاصرون عن سلفهم.

المطلب الخامس: ما اتسمت به هذه المقدمات.

ثم كانت خاتمة البحث والتى تضمنت بعضاً من أهم نتائجه،ثم الفهارس اللازمة.

بين يدي البحث

أهمية علم أصول التفسير :

ليس هناك كتاب في الوجود لقي من العناية والخدمة والضبط مثل كتاب الله تعالى، وهو مصداق لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر٩]، وقد أمرنا الله تعالى بتدبر كتابه الحكيم في أكثر من آية، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الفهم الصحيح لمعانيه، ولهذا الفهم قواعد تخدمه وتساعده، وتضبط طرائق الاستنباط فيه والتأويل لمعانيه وهذه القواعد هي أصول التفسير وهي من أهم العلوم التي خدمت كتاب الله تعالى، فهذه القواعد مهمة وضرورية لسلامة منهجية التفسير.

ولكل علم من العلوم أصوله التي يبني عليها مفهومه، ومن ذلك علم التفسير له أصوله التي لا تصلح أن تنطبق على غيره من العلوم، والتي لا يصلح أن يفسر القرآن دون معرفتها، وتطبيقها، وقد قال العلماء: من حُرم الأصول حُرم الوصول(٢).

إذن فعلم أصول التفسير من أجل العلوم قدراً، ومن أشرفها منزلةً، وأرفعها مكانةً لتعلقه بفهم كتاب الله عز وجل وكلامه المبين، وتبرز أهمية علم أصول التفسير في أنه به يتم الذب عن كتاب الله تعالى لأن حرص كل عالم ومن ثم كل فرقة أو مذهب على التأصيل لمفاهيمه من القرآن الكريم، والعمل على إقامة الحجة منه على اختياراته العلمية أدى بلا شك، وكما هو معلوم إلى كثير من الانحراف في التفسير فضلا عن الكثرة والاتساع في الإنتاج، وإلى هذا المعنى يشير الدكتور محمد بن لطفي الصباغ حين يقول:" لقد ألف أحد العلماء رسالة يبين فيها أن كل أصحاب المذاهب الهدامة كانوا يستدلون على باطلهم وعقائدهم الزائفة بآيات من القرآن.....ويرى الناظر فيها التمحل ولي عنق الآية، والاعتماد على المغالطة وإغفال سياق الآيات وأسباب النزول.

إن هذا كله ليبين لنا أهمية قيام علم أصول التفسير بمهمته الجليلة وهي صيانة كتاب الله عن هذا العبث"[٣]، ومن قبله شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر الباعث له على تأليف المقدمة المعروفة بين الناس بـ"مقدمة في أصول التفسير" فقال: "أما بعد فقد سألني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه والتمييز في منقول ذلك و معقوله بين الحق وأنواع الأباطيل والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل"[٤]، وقد ازدادت الحاجة إلى إدراك هذا العلم في عصرنا الحالي لانتشار الأخطاء الفادحة والتأويلات الفاسدة الصادرة عن الهوى والجهل.

القسم الأول

مفهوم مصطلح أصول التفسير، وموضوعاته

المبحث الأول

تعريف التفسير والتأويل، والفرق بينهما

التفسير:

لغة: أصله من (فسر) وهو على معنى البيان والكشف والوضوح والظهور، ومما ورد في ذلك: فسَرْتُ الذراع: إذا كشفتها وفسَرْتُ الحديث إذا بينته[٥].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان ٣٣] أي: بياناً وتوضيحاً.

اصطلاحاً: علم يبحث عن بيان وشرح للقرآن الكريم وفقاً لمصادره الأصلية[٦] .

التأويل :

لغة: مأخوذ من الأول، وهو الرجوع، وأول الكلام يؤول آل إلى ذلك، أي رجع إليه وصار إليه[٧].

- **التأويل عند السلف والخلف**
- **أولاً: التأويل عند السلف له معنيان:**[٨]

الأول: مرادف التفسير، ودليل ذلك من القرآن: قال الله تعالى :﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴾ [آل عمران٧].

ومن السنة: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس - رضي الله عنهما - "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" [٩] قال ابن عباس - رضي الله عنهما - (أنا ممن يعلم تأويله)[١٠] ووصف ابن مسعود ابن عباس - رضي الله عنهم- : (نعم ترجمان القرآن)[١١]. قال الطبري: (وأما قوله صلى الله عليه وسلم "وعلمه التأويل" فإنه عنى بالتأويل: ما يؤول إليه معنى ما أنزل الله تعالى ذكره على نبيه من التنزيل وآي الفرقان، ...) [١٢].

وقد شاع وكثر إطلاق التأويل على التفسير عند العلماء من لدن عهد الصحابة رضي الله عنهم، إلى من بعدهم ونصوص العلماء في هذا الإطلاق كثيرة جداً لا تكاد تنحصر، ومن أشهر ذلك إطلاق محمد بن جرير الطبري في كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) وكان يقول:" تأويل قوله تعالى (.....) واختلف المفسرون في تأويله ...." فالكتب المتقدمة استخدمت كلمة التأويل بمعنى التفسير فقط.

الثاني: الموجود الذي يؤول إليه الكلام، بمعنى حقيقة الشيء ووقوعه.

قال ابن تيمية:" والمعنى الثاني من مسمى السلف: هو نفس المراد بالكلام،

فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به"[١٣].

١- تأويل الخبر: وقوع المخبر به، كمن يقول: جاء محمد، فتأويل هذا الكلام مجيء محمد بنفسه، وإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها. مثال: عن قتادة في قول الله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ [ص١١] قال:"وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جنداً من المشركين فجاء تأويلها يوم بدر" [١٤]، والدليل: قال الله تعالى:﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف٧٨].

وقول الله تعالى:﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف ٨٢]، والمعنى: سأنبئك بحقيقة ما رأيت من الأمور العجيبة التي لم تصبر عليها[١٥].

٢- تأويل الأوامر و النواهي: تطبيقها وامتثالها، مثال: عن عائشة رضي الله عنها قالت:"لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول في ركوعه و سجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"، يتأول القرآن"[١٦]. الشاهد: يتأول القرآن، أي يحقق الامتثال أي هكذا أوقع وامتثل أمر الله تعالى.

٣- العاقبة والمصير: قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء٥٩].

ثانياً: التأويل عند الخلف: هو المعنى الثالث للتأويل وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح لقرينة تدل عليه[١٧]. مثال: قال الله تعالى:﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر ٨٨].

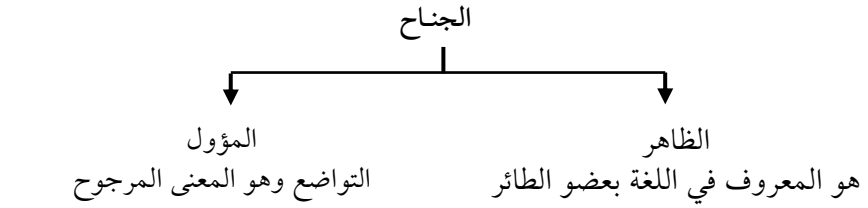

يعني صرفنا اللفظ عن ظاهره وحملناه على المعنى المرجوح ولكن بقرينة وهي استحالة حقيقة الجناح على الإنسان.

القاعدة في حكم التأويل:

يجوز التأويل في كلام الله تعالى إذا وجد دليل صحيح (الكتاب، السنة، اللغة) والتأويل مردود إن لم يدل عليه دليل صحيح[١٨].

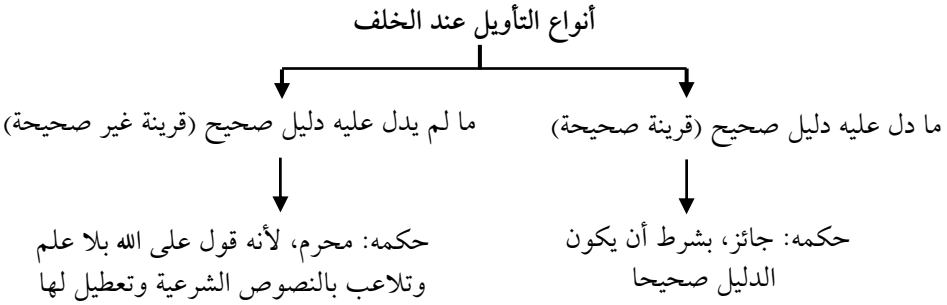

الفرق بين التفسير والتأويل:

العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل أقوال كثيرة، لاختلافهم في تحديد معناهما :

فقال قوم: إنهما بمعنى واحد. وقال آخرون: التفسير أعم من التأويل لأنه يستعمل في الكتب الإلهية وغيرها، وأما التأويل فأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية. تقول: فسرت الكلمة الواردة في بيت الشعر، ولا تقول أولت ذلك.

وقالوا: أكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والمفردات، أما التأويل فأكثر ما يستعمل في المعاني والجمل.

ولعل أكثر هذه التفريقات تخصيصات وتفريعات عارية من الدليل، ولا أدل على ذلك من اختلافهم وعدم ثباتهم على قول موحد فمما قيل في ذلك:

١- عند المتقدمين (كالطبري و ثعلب، وأبي عبيد) التفسير مرادف للتأويل ولا فرق بينهما.

٢- التفسير أعم من التأويل، وهو قول الراغب الأصفهاني وجملة من العلماء كالتفسير الذي هو بيان مدلول اللفظ مطلقاً ويشمل المعنى الظاهر أو المعنى المؤول بدليل والتأويل يقتصر على بيان مدلول اللفظ بالمعنى المرجوح لدليل .

٣- التفسير: ما يتعلق بالرواية من المعاني ويتوقف على النقل (كأسباب النزول .....) والتأويل: ما يتعلق بالدراية من المعاني ويتوقف على الاجتهاد والفهم الصحيح.

٤- التفسير: بيان المعاني المستفادة من وضع العبارة، والتأويل : بيان المعاني المستفادة بطريق الإشارة ، فالتأويل صرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر محتمل لدليل فيكون هنا بالمعنى الأصولي، فإذا فسر قوله تعالى:﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾ [الروم١٩] بإخراج الطير من البيضة، فهو التفسير أو بإخراج المسلم من الكافر فهو التأويل.

٥- التفسير: القطع بأن مراد الله تعالى كذا بدون تردد و بدون شك، والتأويل: ترجيح أحد الوجوه المحتملة دون القطع.

٦- التفسير للمعنى الظاهر والتأويل للمتشابه.

وهنالك أقوال أخرى لا عبرة بها، وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها إلا أن اللغة والآثار تشهد للقول الأول لأن التأويل مصدر أوله إذا أرجعه إلى الغاية

المقصودة، والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه وما أراده منه المتكلم به من المعاني، فساوى التفسير، على أنه لا يطلق إلا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول.

الخلاصة :

أن التفسير يتعلق ببيان المعنى، والتأويل له مفهومان صحيحان: أحدهما يوافق معنى التفسير، والأخر يراد به حقيقة الشيء وهذا الأخير يقبل إذا كان بدليل صحيح، وهو أحد المعاني الصحيحة قد يكون غيرها صحيحاً[١٩].

المبحث الثاني
تعريف أصول التفسير

الأصول في اللغة: جمع أصل وهو في اللغة ما بني عليه غيره كأساس المنزل ونحوه، قال الله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ** ﴾ [إبراهيم ٢٤].

والأصل أسفل الشيء، وعبر عنه بعضهم بأنه: ما يفتقر إليه غيره وليس العكس[٢٠].

والتفسير: سبق بيانه.

فأصول التفسير هي عبارة عن: القواعد الصحيحة والطرق المثلى التي يشرح بها القرآن والتي تكشف عن معانيه وقيل: هي الأسس والمقدمات العلمية التي تعين في فهم التفسير[٢١].

مهمته: علم يقوم على ضبط التفسير، ووضع قواعد مهمة ضرورية لسلامة السير في طريق هذا العلم.

المبحث الثالث
الفرق بين علوم القرآن، وعلوم التفسير، وأصول التفسير

علم أصول التفسير هو جزء من علم التفسير، وهذا الأخير هو جزء من علوم القرآن، وعليه فكل معلومة من أصول التفسير هي من علوم القرآن، وليس كل معلومة من علوم القرآن هي من أصول التفسير، وأي مبحث موجود في أصول التفسير فهو موجود في علوم التفسير، وهو قطعاً موجود في علوم القرآن.

وهناك مباحث في علوم القرآن لا علاقة لها بعلوم التفسير، ولا بأصوله كعدّ الآي، ومباحث لها علاقة مباشرة بالتفسير كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ[٢٢].

المبحث الرابع: طرق التفسير[٢٣]

المصادر المتفق عليها والمختلف فيها

وأصل المصادر المتفق عليها ثلاثة: (القرآن، والسنة، ويلحق بها أسباب النُّزول، واللغة)، وهذه المصادر الثلاثة الكلية هي التي اعتمد عليها السلف.

وإنما اعتُبِر السلف (الصحابة والتابعين وأتباع التابعين) مصدرًا بالنسبة لمن جاء بعدهم؛ لأن علماء التفسير والمحققين من علماء الشريعة اعتمدوا قولهم في التفسير. ومن ثَمَّ؛ فهم مصدر نِسْبِيٌّ، فالمفسر منهم ـ إذا كان مجتهدًا ـ لا يكون مصدرًا لنفسه، وإنما يكون مصدرًا لغيره ممن عاصره أو جاء بعده.

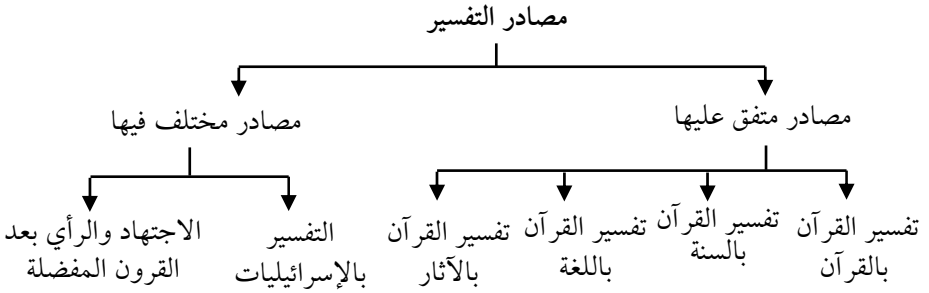

القسم الأول: المصادر المتفق عليها

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

القرآن مصدر من مصادر التفسير المتفق عليها ، فلا يمكن لمفسر أن يفسر دون أن يستفيد من القرآن نفسه.

ومجالات استفادة المفسر من القرآن كثيرة؛ كالتفسير والاستدلال والاستشهاد وغيرها والذي يُعنَى به في الدرجة الأولى هنا هو مقام التفسير، وهو أن تكون آيةٌ مبينة لمعنى آية أخرى.

وهذا البيان قد يكون من باب بيان المفردة الغامضة، أو المعنى المجمل، أو تخصيص العام، أو النسخ، أو غيرها مما يقع به بيان معنى لجملة من جمل الآية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ: إنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ؛ فَمَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمَا اُخْتُصِرَ مِنْ مَكَانٍ فَقَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ"(٢٤).

مثال ما لا خلاف فيه:

تفسير الطارق في قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ بأنه النجم الثاقب؛ لأن الله أبان عن ذلك، فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق:١-٣]

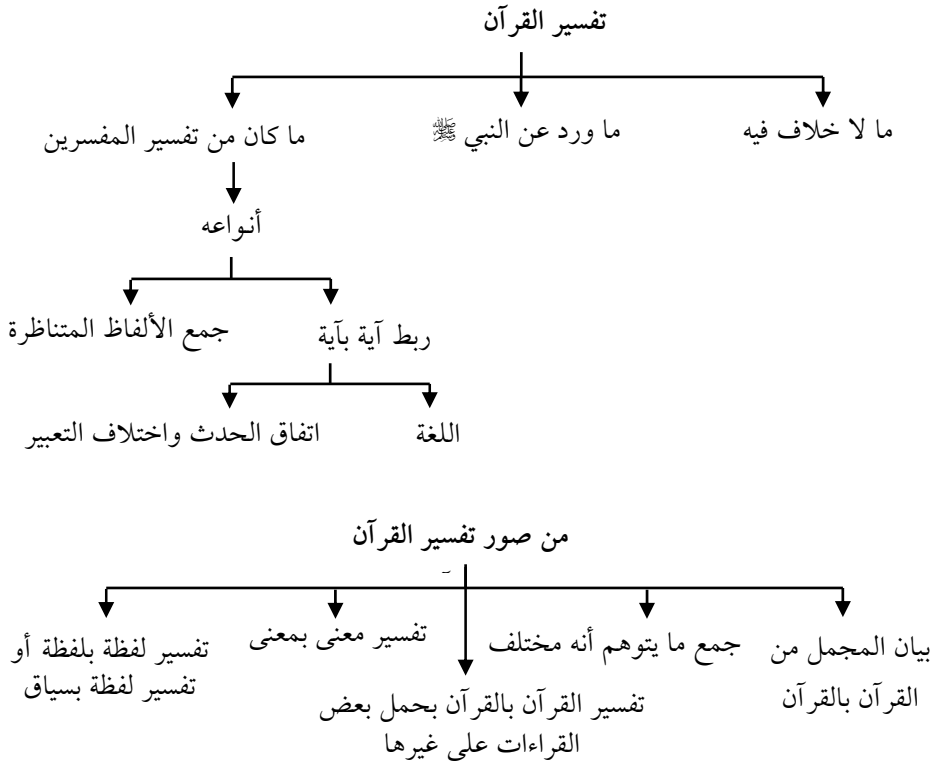

ثانياً: تفسير القرآن بالسنة :

أرسل الله رسوله ﷺ ، وأنزل معه الكتاب، وأمره ببيانه للناس، فقال: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل ٤٤] .

والسنة بمجملها؛ من قولية، وفعلية، وتقريرية موضحة لعموم القرآن وشارحة له، وهي مرجع في فهمه وبيانه، ويمكن تقسيم التفسير المتعلق بالسنة إلى قسمين:

الأول: ما ورد فيها من تفسير نبوي مباشر.

والثاني: ما عدا ذلك من السنة النبوية .وتحت هذين النوعين أقسام تتفرع عنهما.

أولاً: التفسير بالسنة المباشر (التفسير النبوي) :

المراد به ما يأتي عن النبي ﷺ من كلامه الذي قصد به التفسير قصدًا مباشرًا كأن يبتدأ أصحابه ببيان معنى آية أو يسألونه عما يخفى عليهم من القرآن فيبينه لهم وهذا النوع ليس للمفسِّر فيه سوى النقل والرواية سواءً أكان المفسِّر من الصحابة أم كان ممن جاء بعدهم .ويكون ذلك عن طريق:

١- تفسير آية بآية :

وقد ورد ذلك في موضعين في القرآن الكريم، حيث فسر النبي ﷺ آيتين في سورة الأنعام بآيتين في سورة لقمان، وهي:

الأول: تفسير الظلم في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾، فقد روى البخاري[٢٥] بسنده عن عبد الله ابن مسعود، قال: ((لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾؛ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؟

قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾، بِشِرْكٍ أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لابنه ﴿۞ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾)) .

الثاني: تفسير مفاتح الغيب في قوله تعالى:﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ فقد روى البخاري(٢٦) بسنده عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ((مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾)) . وذكر هذا المثال هنا في (تفسير القرآن بالسنة) باعتبار أنه صادر ومباشر من الرسول ﷺ ، وهو يذكر في تفسير القرآن بالقرآن باعتبار تفسير آية بآية.

٢- تفسير آية بكلام النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك:

أ/ لبيان حكم شرعي.

ب/ أو لبيان أمر غيبي.

ثانيًا: التفسير بالسنة غير المباشر(أي: ما عدا التفسير النبوي المباشر)

المراد به الاستفادة من السنة القولية والفعلية والتقريرية في التفسير، وهذه الاستفادة لا حصر لها، ومن ذلك :

١- أن يكون كلامه مطابقًا لمعنى الآية.

٢- أن يستفيد المفسر من ورود اللفظة القرآنية في الحديث النبوي، فيذكر الحديث في تفسيره للآية ليدل على أن معنى اللفظ في القرآن هو معناها في الحديث.

٣- أن يتأول القرآن فيعمل بأوامره وينتهي عن نواهيه .

٤- أن يُقرَّ أحد أصحابه على فهمه لآية وهذا قليل جدًّا.

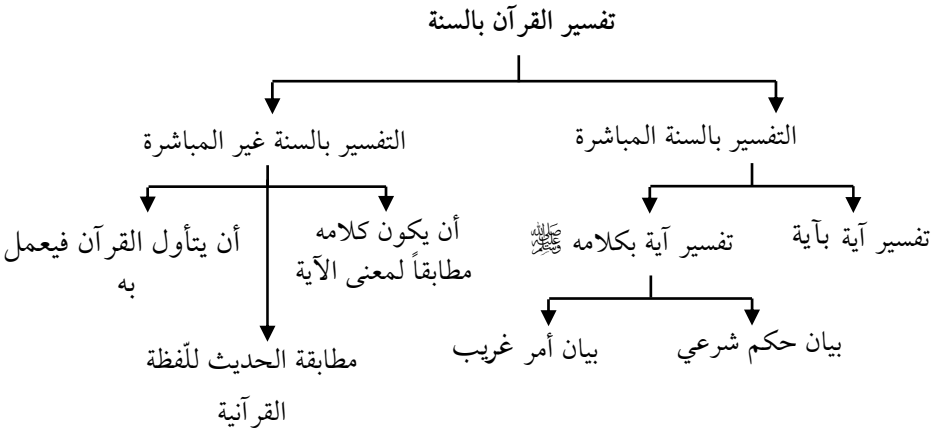

ثالثاً: تفسير القرآن باللغة

نزل القرآن بلغة العرب ليفهموه أولاً، ثمَّ يبلغوه للناس، ولما كان نازلاً بهذه اللغة الشريفة التي اختارها الله واصطفاها من بين اللغات السائدة في عصرها، كانت من المصادر اللازمة لمن أراد أن يفهم القرآن.

ولا تخلو آية من الآيات من الحاجة إلى اللغة، وغالب ما يُحتاج إليها في التفسير ما يتعلق بدلالة الكلمة؛ لأن دلالة الكلمة يُعرف بها التفسير، ويتأثر بها المعنى، فالجهل بدلالة الكلمة أو تفسيرها بغير ما عُرِف عن العرب مدعاة للخطأ في فهم كلام الله، فالتفسير القائم على المصطلحات والرموز الخاصة؛ كالموجود عند الصوفية أو الباطنية أو غيرهم = هو مما لا تعرف العرب من كلامها، وهذا هو أحد أوجه ردِّ تفاسير هؤلاء.

التفسير باللغة عند السلف في طبقاتهم الثلاث:

كان التفسير باللغة أغلب تفسير السلف، وكان ذلك قبل بروز علماء العربية واعتنائهم بتدوين اللغة.

والصحابة ـ على وجه الخصوص ـ من أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وتفسيرهم بلسانهم معتبر غير معترض عليه من جهة اللغة.

وأما التابعون، فكان فيهم من هو عربيٌّ محضٌ، وهو في اللسان كالصحابة.

وكان فيهم من هو من الموالي، وهؤلاء ممن تعلم العربية من مخاطبات الصحابة الذين علَّموهم؛ كعكرمة (ت: ١٠٥) مولى ابن عباس (ت : ٦٨)، فقد كان من البربر، لكن لم يؤْثر في تفسيره، ولا تفسير غيره ما هو مخالفٌ للعربية، ومن زعم ذلك في بعض الأمثلة، فإنه يُحتجُّ عليه في هذا الاعتراض بأن إدراك هذا المباشر للغة العرب أعلى من إدراك من أخذها من الكتب.

وكذا كان الحال في تفسير أتباع التابعين، فإنهم ما يزالون يعيشون في عصر الاحتجاج باللغة وأقلُّ أحوالهم أن يكونوا نقلةً للغة.

رابعاً: تفسير القرآن بالآثار

أي : تفسير القرآن بأقوال السلف .

المراد بالسلف :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ"[٢٧] وانطلاقًا من هذا الحديث ذهب كثير من العلماء إلى تحديد مصطلح السلف بجيل الصحابة والتابعين وأتباعهم. والتفسير بأقوالهم على ثلاثة أقسام:

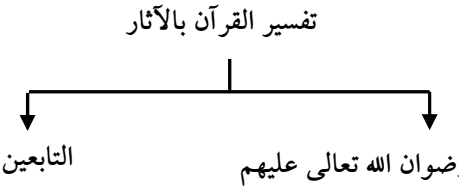

القسم الأول:تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

- أهمية تفسير الصحابة: لقد ذكر العلماء أسباباً تدلُّ على أهمية الرجوع إلى تفسيرهم، وهذه الأسباب كالتالي:

١- أنهم شهدوا التنْزيل، وعرفوا أحواله:

٢- أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن

٣- أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن.

٤- حسن فهمهم

٥- سلامة قصدهم

القسم الثاني: التفسير بأقوال التابعين وأتباعهم، رضي الله عنهم.

مما يلاحظ أنَّ طبقات السلف الثلاث كان فيها تزامن، فالتابعون كانوا يفسرون والصحابة متوافرون، وكذا أتباع التابعين كانوا يفسرون القرآن والتابعون متوافرون . وهذا التداخل لا تنفك منه العصور ، لكن لِمَا للصحابة من مزية وفضل جاء إفرادهم إفرادًا مستقلاً . وسيكون الحديث عن الطبقتين الأخريين حديثًا واحدًا، لظهور هذا التداخل بينهم كما يلاحظ أنَّ بعض صغار التابعين ممن حُكي أنه رأى صحابيًا أو أكثر، وليس له عنهم رواية يجعل الحديث عنهم معًا مسوغًا .

من هؤلاء ـ على سبيل المثال ـ السدي (ت: ١٢٨) الذي جاء في ترجمته أنه روى عن أنس بن مالك (ت: ٩٣) ولم يرو عن غيره، ورأى الحسن بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبا سعيد الخدري وأبا هريرة .

أهمية تفسيرهم :

لما كان التابعون قد تلقوا التفسير عن الصحابة مباشرة، ولم تفسد ألسنتهم بالعجمة، وكان لهم من الفهم وسلامة المقصد ما يشهد لهم به، كل هذا جعل من بعدهم يرجع إلى أقوالهم في التفسير.

وقد كان المفسرون في طبقة التابعين أكثر منهم في طبقة الصحابة وأتباع التابعين، وبعد طبقة أتباع التابعين اعتمد أئمة السنة على أقوال المفسرين في هذه الطبقات، وقلَّ فيهم التصدي للتفسير، حتى ظهر ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠) الذي أبرز أسلوب المفسر الناقد والمرجح بين الأقوال.

ولقد اعتنى أعلام السنة بجمع أقوالهم واعتمادها في التفسير كما اعتمدوا من قبل تفاسير الصحابة ، لذا قد لا يرد في بعض مقاطع الآيات إلا قول هاتين الطبقتين، أو قول أحدهما، ويكون هو المعتبر عند علماء أهل السنة[٢٨].

القسم الثاني من المصادر: المصادر المختلف فيها

أولاً: التفسير بالإسرائيليات

الإسرائيليات مصدر قديم من مصادر التفسير، ظهر مع الصحابة رضوان الله عليهم، عندما كانوا يرجعون إلى مسْلِمة أهل الكتاب للاستئناس برواياتهم في بسط مختصر قصص القرآن، نظراً لاتفاق القرآن مع التوراة و الإنجيل في كثير من القضايا باعتبار أن مصدرهم جميعاً واحد، ولم يكونوا يعتمدون هذا المصدر في تأصيل عقيدتهم ولا استنباط أحكامهم الشرعية.

المراد بها:

هي: ما يروى عن مسلمة أهل الكتاب ،أوهي: الأساطير والأحاديث المنقولة عن مصادر يهودية على كثرة و نصرانية على قلة في التفسير[٢٩]، أوهي: كل ما دخل التراث الإسلامي وبخاصة في مجال التفسير من روايات أهل الكتاب الغالب أن لها أصلا عندهم في مصادرهم .

أدلة جواز الرواية عن أهل الكتاب :

١- عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"بَلِّغُوا عَنِّى وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" [٣٠].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- «لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾"(٣١).

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ (٣٢).

٣- ما أخذ من القرآن في بيان جواز نقل خلاف أهل الكتاب في قصصهم، فهم يختلفون فيما يرونه من أقاصيصهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"في قوله تعالى:﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٢].

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام و تعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته، إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الإطلاع على عدتهم لا طائل تحته.

فيقال في مثل هذا:﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾، فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه، فلهذا قال:﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬﴾ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب، فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته، لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافاً في المسألة ولم يستوعب

أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضاً، فإن صحح غير الصحيح عامداً فقد تعمد الكذب، أو جاهلاً فقد أخطأ كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معا، فقد ضيع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب"[٣٣].

والروايات الإسرائيلية لا تؤخذ في العقائد، ولا في الأحكام، وفيما سواهما تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، وهي على ثلاثة أقسام : أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، فلا يؤخذ بها. والثالث: ما هو مسكوت عنه ، فهذا لا نصدقه ولا نكذبه[٣٤].

ثانيا: التفسير بالاجتهاد والرأي:

التفسير بالرأي نوعان :

الأول: ما يعتمد فيه المفسر على فهمه الخاص، واستنباطه بالرأي المجرد. وهو الذي وقع عليه نهي السلف، وشنعوا على صاحبه، لأنه صادر عن جهل، أو هوى، وهو المذموم.

والثاني: ما يعتمد فيه المفسر على الاجتهاد العلمي الصحيح المستمد من اللغة، والنظر في النصوص، والأدلة الشرعية على ما قرره العلماء، وهو جائز لأنه تفسير بالرأي المحمود[٣٥].

المبحث الخامس

أوجه اختلاف السلف في التفسير ويتضمن: أسباب الاختلاف، وأنواعه

هذا المبحث من المباحث المهمة في علم أصول التفسير ، وبه يتبين توجيه الأقوال، ومعرفة الأثر المترتب عليها.

- لقد نزل القرآن عربيًا، على قومٍ يعرفونه من جهة لغتهم، ويسألون عما لا يعرفون مما يشكل عليهم، وكان في عرضهم لفهمه لبعض آي القرآن بدايةً لظهور أوجه التفسير، واحتمال بعض آي القرآن لأكثر من معنى ظاهر ولوجود الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم، يعرضون عليه ما يشكل عليهم انحسر الاختلاف، ولما توفي صلى الله عليه وسلم وتصدَّر بعض الصحابة لتفسير القرآن، وصاروا هم المرجع في فهمه، ظهر الاجتهاد فيهم، وتعددت المحتملات بسبب الاختلاف العلمي بين هذا وذاك من الصحابة وكان اختلافهم مبنيًا على علم، ولم يكن يصدر عن جهل أو هوى فتعددت وجوه التفسير بسبب اجتهادهم في بيان ما يحتمله النص.

ولقد كان أبرز ضابطٍ عندهم هو احتمال النص للتفسير الذي يذكرونه، فهم أهل اللسان، وهم أعلم بأحوال القرآن وبأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله، وهم أعلم بأحوال من نزل فيهم قرآن، فكل هذه المعلومات وغيرها مما يتميزون به كان سببًا لأن يجتهدوا، لكن لا يسلم اجتهاد شخصين من الاختلاف.

والاختلاف يقع بسبب احتمال النصِّ لأكثر من معنى، ومنه ما هو مقبولٌ محمود، ومنه ما هو مردود، إذ ليس كل خلاف معتبرًا. ومن الاختلاف ما يرجع إلى معنى واحد، فيكون الاختلاف فيه اختلاف ألفاظ وعبارات، ومنه ما يرجع إلى أكثر من معنى، وهذا هو الاختلاف المحقق. والاختلاف بنوعيه هذين له أسباب موجبة لوقوعه. ولقد زادت أسباب الاختلاف في التفسير عن الأسباب التي كانت موجودة في تفسير السلف بسبب بروز المعتقدات المخالفة لمنهجهم، والعلوم التي ضُبِطت ضبطًا خاصًّا بعد جيلهم كعلم الفقه الذي برزت فيه المذاهب الأربعة المشهورة،

وصار علماء كل مذهب يؤلفون في التفسير أو في أحكام القرآن ، فينتصرون لمذاهبهم الفقهية ـ ويردون على غيرها من المذاهب.وسأقتصر على ذكر أهم أسباب الاختلاف، وأنواعه:

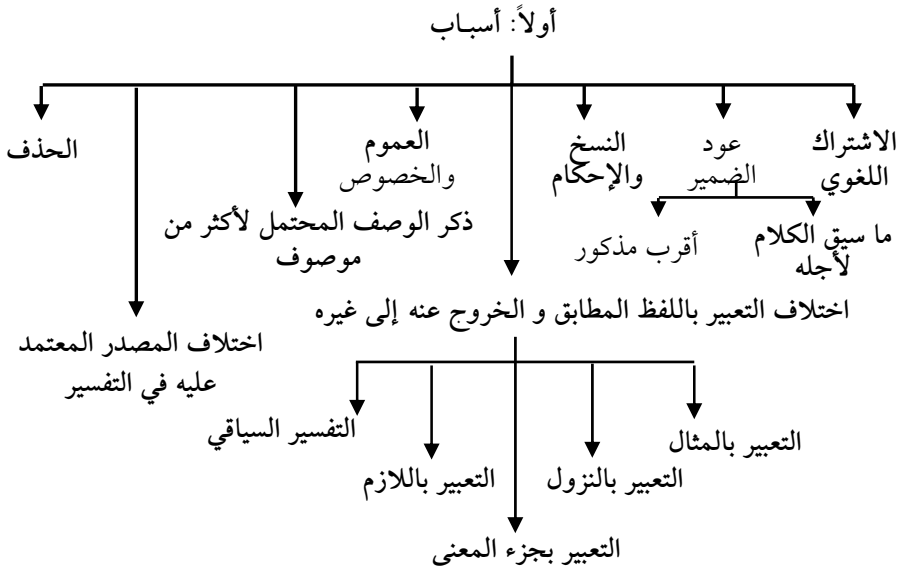

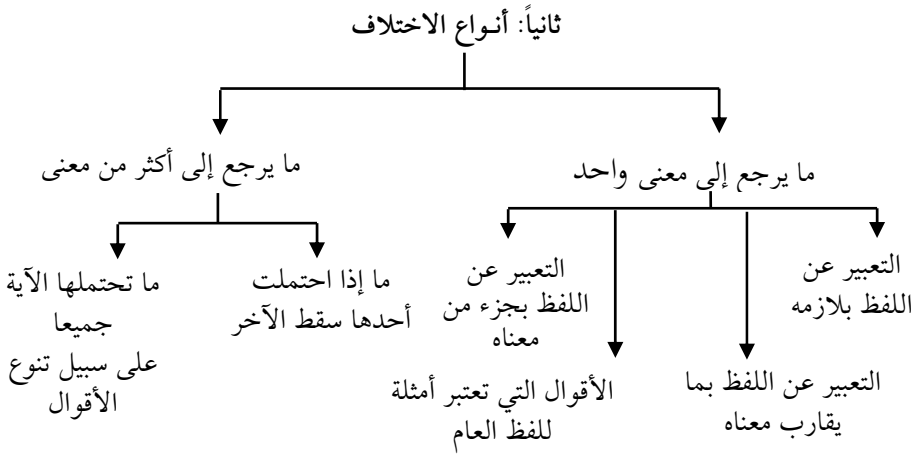

وربما زاد المتأخرون عن المتقدمين بعض الأسباب الأخرى بسبب اختلاف المعتقدات، منها الصحيح المقبول، ومنها المرفوض، وغالب أسباب اختلاف المفسرين هي في وجوه الإعراب، وفي المعنى اللغوي للكلمة، والاشتراك في اللفظ بين معنيين فأكثر، واحتمال الإطلاق والتقييد، والعموم والخصوص، والحقيقة والمجاز، والإضمار والاستقلال، والنسخ والإحكام، والاختلاف في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم [٣٦].

القسم الثاني

النتائج المستخلصة من القراءة في مقدمات التفاسير

تمهيد :

إن علم أصول التفسير بدأ منذ القدم فمرّ بجميع مراحل التاريخ الإسلامي، وقد تضافرت جهود الأمة على بيانه منذ نزول القرآن الكريم في العصر النبوي، عندما فسر النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة ما أشكل عليهم من القرآن، ومن أمثلة ذلك: تفسير الظلم بالشرك، والحساب اليسير بالعرض، ففهم الصحابة من ذلك طرق التفسير والتي منها تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، ثم كان عصر الصحابة الذي زاد فيها طرق التفسير منها التفسير باللغة، وبالرأي الصحيح وجاء عصر التابعين الذي زيد فيه التفسير بأقوال الصحابة، فمن جاء بعدهم حيث تضخم التفسير، واتضحت أصوله أكثر فأكثر، وهذه المرحلة من التاريخ كانت تقوم على المشافهة والتناقل، ثم جاءت مرحلة التدوين في علم التفسير في عهد التابعين، فكانت أول مدونة فيه مدونة مجاهد ت(١٠٤هـ) كتبها عن شيخه ابن عباس رضي الله عنهما ت(٦٨هـ)، ثم توالت المدونات في التفسير، وبدأ بروزها مع بداية النصف الثاني من القرن الهجري الثاني حيث أُلفت كتبٌ في موضوعات تتصل بالقرآن،

غالبها ذُكرت ضمن تفاسيرهم ومقدماتها، فجاءت مقدمات التفسير مشحونة بالفوائد الجمة، منها مباحث علم أصول التفسير، ومن بين الذين نبهوا إلى قيمة هذه المقدمات العلمية وفائدتها في ما يتصل بموضوعنا الدكتور محمد بن لطفي الصباغ. فقد جعل هذه المقدمات من أهم المصادر التي يمكن أن يرجع إليها طالب العلم الراغب في معرفة أصول التفسير، قال: "من ذلك المقدمات النفيسة التي كتبها المفسرون الكبار من أمثال الطبري والقرطبي وأبي حيان وابن كثير وغيرهم". ثم جمعت هذه المباحث تحت مسمى (علوم القرآن)، ثم أفرد كل علم منها على حده، ومن ذلك علم أصول التفسير، وقد تفرقت موضوعاته عند المتقدمين في مقدمات التفاسير،وفي كتب علوم القرآن وأصول الفقه، ثم أصبح هذا العلم عند المتأخرين علماً بذاته أرادوه نظيرا لعلم أصول الفقه، والحديث[٣٧].

وقد ظهرت المدونات في التفسير إما بالإخبار عنها، كتفسير مجاهد والثوري، وأبي عبيد، والحسن البصري، وإما بما نقل منها في تفاسير اللاحقين كتفسير مقاتل بن سليمان ت (١٥٠)هـ، وهو أقدم تفسير كامل للقرآن الكريم وصل إلى الأمة وكتفسير يحيى بن سلام ت (٢٠٠هـ) الذي أحدث نقلة هامة في تاريخ التفسير، فقد اتسم بالتعمق في المنهج وجمع في تفسيره بين الرواية والدراية، ويعتبر تفسيره حلقة صلة بين التفسير في القرن الأول، والثالث كما صرح به الطاهر ابن عاشور[٣٨]، ثم جاء بعده الطبري الذي تميز بالنقد الذي يميز به بين الأقوال المختلفة، فيجيز ما يراه الأقرب إلى الصواب معللا اختياره بحجج نصية، أو علمية، أو منطقية.ثم توالت التآليف بعد ذلك في التفسير متضمنة أصوله في مقدماتها.

- وموضوع جهود الأمة في أصول التفسير يستلزم ذكر تاريخ هذه الأصول مما لا يتسع له وقت الدراسة ولا منهجها لذا سأقتصر على ذكر خطوط عريضة موجزة.

المبحث الأول

قائمة بأهم كتب التفسير المتضمنة لأصوله في تاريخ الأمة

المفسر	كتابه
مقاتل بن سليمان (١٥٠)هـ	تفسير مقاتل بن سليمان
يحيى بن سلام (٢٠٠)هـ	تفسير يحي بن سلام
الطبري (٣١٠)هـ	جامع البيان عن تأويل آي القرآن
الثعلبي (٤٢٧)هـ	الكشف والبيان
الماوردي (٤٥٠)هـ	النكت والعيون في تأويل القرآن الكريم
الراغب الأصفهاني (٥٠٢)هـ	مقدمة جامع التفاسير
البغوي (٥١٦)هـ	معالم التنزيل
الزمخشري (٥٣٨)هـ	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

المفسر	كتابه
ابن عطية (٥٤٦)هـ	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
القرطبي (٦٧١)هـ	الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان
ابن جزي (٧٤١)هـ	التسهيل لعلوم التنزيل
أبو حيان (٧٤٥)هـ	البحر المحيط
ابن كثير (٧٧٤)هـ	تفسير القرآن العظيم
القاسمي (١٣٣٢)هـ	محاسن التأويل
الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣)هـ	التحرير والتنوير
عبد الرحمن حبنكة (١٤٢٥)هـ	معارج التفكر ودقائق التدبر

المبحث الثاني

جدول يضم أهم كتب التفسير، وموضوعات مقدماتها في أصول التفسير

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
١	مقاتل بن سليمان	١/ أهمية علم التفسير، وفضله (٢١)[٣٩]. ٢/بيان أوجه التفسير الأربعة التي بينها ابن عباس رضي الله عنهما (٢٢). ٣/ ذكر المفسرين من الصحابة(٢١). ٤/ بيان جملة من علوم القرآن كالخاص والعام والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، والمبهم، والمضمر(٢٢).	أكتفي في وصفه بثناء الإمام الشافعي عليه إذ قال :"من أراد أن يتبحر في تفسير القرآن، فهو عيال على مقاتل بن سليمان"، وتفسيره أول تفسير كامل وصل إلينا جمع فيه بين المأثور والمعقول، بعبارات سهلة ووجود أصول التفسير في مقدمته دليلاً على اهتمام سلفنا به.
٢	يحيى بن سلام	١/ حكم التفسير بالرأي المذموم(٩). ٢/معرفة التفسير من خلال اثنتي عشرة خصلة: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والتقديم والتأخير والمقطوع والموصول، والخاص والعام والإضمار والعربية(١٠).	مؤسس طريقة التفسير النقدي أو الأثري النظري، والذي سار عليه من بعده الطبري.

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
٣	ابن جرير الطبري	١/ منهجية التعامل مع الروايات(٧). ٢/ الوجوه التي من قبلها يوصل معرفة آي التأويل (وجوه تفسير القرآن)(٦٨). ٣/ بيان أهمية التفسير والمفسرون من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم(٧٤). ٤/ الجرح والتعديل في علم التفسير (ذكر الأخبار عن بعض السلف في من كان من قدماء المفسرين محمودا علمه، ومن كان منهم مذموما علمه به) (٨٤). ٥/ بيان بعض من أسباب اختلاف السلف في التفسير والجمع بين أقوالهم[٤٠](٩٤). ٦ / حكم التفسير بالرأي(٨٤).	الإمام الطبري رحمه الله تعالى كانت له آراء ونظرات عميقة في أصول التفسير بثها في مواضع عديدة من تفسيره، وفي مقدمة التفسير حيث اشتملت هذه الأخيرة على موضوعات ومباحث الأصول هي في حد ذاتها كتاب مستقل.
٤	الثعلبي	١/ ذكر طرائق المصنفين في التفسير، فمنهم أهل البدع والأهواء ومنهم من خلط أقاويل المبتدعين بأقاويل السلف ومنهم من اقتصر على الرواية دون الدراية، ومنهم من جمع بينهما، ومنهم من جردوا التفسير دون الأحكام وبيان الحلال والحرام والحل عن الغوامض والمشكلات والرد على أهل الزيغ والشبهات كمشايخ السلف. ٢/ تعريف التفسير والتأويل وذكر الفرق بينهما(٨٦-٨٧).	الثعلبي إمام ناقد بصير، فنقده لكتب التفسير، وبيان طرائق المفسرين فيها يوضح لنا الصحيح من الضعيف والمقبول من المردود، وهو أصل مهم من أصول التفسير.

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
٥	الماوردي	١/معاني القرآن ظاهرة جلية مفهومة بالتلاوة، وخفية لا تعلم إلا بالنقل والاجتهاد(٢١). ٢/الجمع بين أقوال السلف ، وبيان المؤتلف والمختلف(٢١). ٣/التفسير بالرأي المحمود والذي يحتمل معنى الآية(٢١). ٤/بيان كيفية التأويل وذم التفسير بالرأي المجانب للصواب(٣٤). ٥/بيان وجوه التفسير الأربعة المروية عن ابن عباس رضي الله عنهما(٣٦). ٦/ ذكر جملة من أنواع علوم القرآن التي يحتاج إليها المفسر كتأويل المتشابه، واستنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم(٣٨). ٧/ذكر جملة من قواعد الترجيح[٤١] تصلح لاختلاف التنوع وذكر مثالا لاختلاف التضاد[٤٢] (٣٩).	قدم الماوردي لتفسيره بمقدمة رائعة تعرض من خلالها لأهم رؤوس أصول التفسير بل صرح بذكر الأصول فيها، فما قدمه بين يدي تفسيره من مقدمات هي كالأصول له يستوضح منها ما اشتبه تأويله، وخفي دليله.

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
٦	الراغب الأصفهاني	١/ عقد فصلا لبيان الفرق بين التفسير والتأويل، فاستعرض أولا التعريف اللغوي، ثم بين بعض الوجوه التي يكون فيها التأويل مستكرها ومنقاداً (٤٧-٥١). ٢/ذكر بعضا من أسباب الاختلاف كالاشتراك اللفظي، وهو المشترك بين المعنى الأصلي، والمستعار(٣٣). ٣/تقسيم معاني الآيات على قسمين: جلي، وغامض، والغامض على ثلاثة أضرب(٣٥). ٤/تكلم على الحقيقة والمجاز، فهو يرى بوجود المجاز وهذه أصول من جهة بيان المعاني(٥٥). ٥/فصل في العموم والخصوص من جهة المعنى(٦١). ٦/فصل الألفاظ التي تجيء متنافية في الظاهر (أصول من حيث الرد على الشبه)(٦٨). ٧/ذكر جملة من علوم القرآن التي يفسر بها القرآن، كالفرق بين النسخ والتخصيص(٨٢)، والمحكم والمتشابه(٨٦). ٨/ عقد فصلا لبيان الآلات التي يحتاج إليها المفسر[٤٣]، ثم ذكر شروطا أخرى يجب توافرها في المفسر كالتقوى(٩٣-٩٧) .	بنى تفسيره على ما ورد عن الصحابة والتابعين كما أشار إلى ذلك في مقدمته، وهو أصل مهم من أصول التفسير، وأكثر من بيان الأصول المرتبطة بلغة القرآن من وجوه الاختلاف في أساليب البيان وغيرها، وجاءت مقدمته غنية بمباحث أصول التفسير.

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
٧	البغوي	١/ذكر جملة من العلوم التي بها يفسر القرآن وهي: معرفة أسباب نزوله وأحكامه، والوقوف على ناسخه ومنسوخه وخاصه وعامه(٣٣). ٢/ذكر أهمية التفسير بالسنة(٣٨). ٣/بيان وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم(٤٥). ٤/ذكر الفرق بين التفسير والتأويل(٤٦). ٥/ تجنب الاستطرادات التي ليس لها علاقة بمعنى الآية.	وضع البغوي ضوابط مهمة ورائعة للتفسير في مقدمته منها مثلا: تجنب النكات البلاغية، والمباحث اللغوية إلا ما كان ضروريا منها لفهم المعنى، والاعتدال في ذكر الأقوال وبسطها والإعراض عن ذكر المناكير، وما لا يليق بحال التفسير.
٨	الزمخشري	ذكر أهمية معرفة علم المعاني، والمباني، والبلاغة للمفسر(٤٣).	اشترط على المفسر أن يكون عالما بالبلاغة، حيث قال:" علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، إلى أن قال: إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني، وعلم البيان" (١/٤٣).ولا يلزم ذلك، كما سيأتي بيانه .
٩	ابن عطية	١/ ذكر بعض قواعد التفسير منها قوله: "لا أذكر من القصص والأقاويل إلا ما لا تنفك الآية إلا به"(٩). ٢/بيان حكم الجرأة في التفسير(٢٢). ٣/بيان مراتب المفسرين وذكر المفسرين من السلف(٢٣) .	تميز ابن عطية بإيراد الخلاف في المسائل الهامة، مع عرض موجز للآراء والتصريح بموقفه منه، والرد التفصيلي على بعض الأقوال المرجوحة ومناقشة قائليها، وكانت هذه من أهم مزايا مقدمته، وهي تمثل جانبا هاما من جوانب أصول التفسير

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
١٠	القرطبي	١/ الجمع بين المعاني، وبيان ما أشكل منها بالمأثور (٧). ٢/ذكر بعض طرق التفسير كالتفسير باللغة (٧،٣٩،٤٤) وبين عمل الصحابة رضوان الله عليهم في الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة، والشعر(٤٤)، والتفسير بالسنة(٣٩،٦٤)، والتفسير بالمأثور عن السلف(٣٩)، التفسير بأسباب النزول(٨). ٣/الرد على أهل الزيغ، والضلالات(٧). ٤/ ذكر شيء من قواعد التفسير كالضرب عن قصص المفسرين إلا مالا بد منه(٨). ٥/ذكر الفرق بين التفسير والتأويل(٨). ٦/حكم من فسر القرآن بالرأي(٥٦). ٧/ذكر مراتب المفسرين(٩٦)،وبيان المفسرين من الصحابة رضي الله عنهم(٦٠). ٨/الحجة في الرد على من طعن في القرآن(١٢٦).	لخص لنا القرطبي في مقدمته خلاصة فكره حول موضوعات علوم القرآن وجملة كبيرة منها ما يتعلق بأصول التفسير وقد طرحها للبحث والنقاش بأسلوب أدبي سهل ومتين.

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
١١	ابن جزي الكلبي	١/تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح (١٠). ٢/ذكر قواعد وموجبات الترجيح بين الأقوال(١١). ٣/ذكر المصادر المتفق عليها والمختلف فيها في التفسير حيث قسم التفسير إلى قسمين: متفق عليه، ومختلف فيه(١٦). ٤/أنواع الاختلاف في التفسير ثلاثة: أ- اختلاف العبارة واتفاق المعنى. ب- اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد. ج – اختلاف المعنى (متضاد)(١٦). ٥/ذكر الفرق بين التفسير والتأويل(١٦). ٦/عرض اثني عشر سببا من أسباب الخلاف بين المفسرين (١٨-١٩)[٤٤]. ٧/ذكر اثني عشر وجها من وجوه الترجيح[٤٥] (١٩). ٨/ذكر طبقات السلف في التفسير: طبقة الصحابة، والتابعين وأتباع التابعين(٢٠). ٩/ ذكر اثني عشر فنا من العلوم لتفسير القرآن (١٥-١٨)[٤٦].	تميز ابن جزي بذكر مقدمتين نافعتين الأولى أورد فيها الموضوعات الهامة التي لها تعلق بالتفسير، وتخدم المفسر والثانية كانت في تفسير معاني اللغات، وقد عرض فيها الكلمات التي كثر دورانها في القرآن، ووردت في أكثر من موضع، واستهدف من ذلك تيسير تلك الكلمات والمعاني للحفظ، وجعلها كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، وهي تصلح أن تفرد بكتاب مستقل.

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
١٢	أبو حيان الأندلسي	١/ ذكر بعض طرق التفسير كتفسير الآية بسبب النزول، ونقل أقاويل السلف فيها(١٠٣). ٢/ذكر بعض قواعد ووجوه الترجيح منها ما نص عليه : ما دل عليه الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ، وأن يحمل معنى كلام الله على أحسن إعراب وأحسن تركيب.وترك أقوال الفرق المخرجة الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى.والرد على هذه الطوائف(١٠٣-١٠٤). ٣/ترك التواريخ الإسرائيلية(١٠٤). ٤/ذكر سبعة أوجه من وجوه التفسير وهي:(علم اللغة ومعرفة أحكام الكلم العربية من جهة الإفراد والتركيب وكون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح، وتعين المبهم ويبيين المجمل، وسبب النزول والنسخ، والتفسير بالسنة معرفة الإجمال والتبيين، والعموم، والخصوص، والإطلاق والتقييد)(١٠٥-١٠٨). ٥/حكم التفسير بالرأي(١١٩)، ٦/معرفة المفسرين من الصحابة والتابعين(١١٩)، ٧/تعريف التفسير والتأويل، والفرق بينهما(١٢١).	لقد أجاد أبو حيان في منهجية عرضه للموضوعات التي يحتاج إليها المفسر بذكر الفن بعبارة واضحة ثم بيان بعض المصادر الهامة فيه، ومن أهم مباحث أصول التفسير في مقدمته: التعريف الاصطلاحي للتفسير وذكر شيء من قواعد الترجيح.

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
١٣	ابن كثير	١/ذكر طرق التفسير الأربعة (مصادر التفسير)، وهي: تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة(٢٩)، والتفسير بأقوال التابعين(٣٢). وأهمية التفسير باللغة(٣٢). ٢/ذكر موقف السلف من الإسرائيليات وبين أن ذكرهم لها كان للاستشهاد لا للاعتضاد، ثم ذكر أقسامها(٣٠). ٣/ذكر أقسام التفسير الأربعة واستشهد بقول ابن عباس رضي الله عنهما(٣٤-٣٥).	لقد اتجهت الأنظار قديما وحديثا إلى تفسير ابن كثير لأهميته العلمية، حتى لا يكاد تخلوا منه البيوت، وتميز ابن كثير بطرق موضوعات هامة لأصول التفسير في مقدمته، فكانت مقدمة وافية في بابها، غير أنه اتبع المنهج النقلي في ذكر هذه الأصول، فنقل جلّ ما جاء في مقدمة شيخه ابن تيمية لأصول التفسير، وأضاف عليها إضافات يسيرة. وكان منهجه دقيقا واضحا في التفسير بالإسرائيليات.
١٤	القاسمي	أهمية التفسير(٢٠)، ومصادر التفسير إجمالا(٢٠-٢١)،مراتب المفسرين(٢٦)، قواعد التفسير في أوجه،وأنواع الاختلاف(٢٨)، كيفية التعامل مع الإسرائيليات(٤٥-٤٦)، وأهمية تفسير الصحابة رضوان الله عليهم(٨٢-٨٤)، وأقسام العلوم المضافة إلى القرآن (١٠٢) وجوه التأويل[٤٧] ، تعريف التفسير والتأويل، وبيان الفرق بينهما، ذكر قواعد في أسباب النزول(٣٤)، وفي الناسخ والمنسوخ(٣٩)، وفي القراءات الشاذة(٤٤).	تعتبر مقدمة القاسمي من المقدمات المهمة في موضوعنا، حيث جمع مؤلفها أغلب موضوعات أصول التفسير، واستفاد ممن سبقوه ومقدمته الطويلة غلب عليها النقول فأكثر من النقل عن الشاطبي في الموافقات، وابن تيمية في مقدمته كما نقل عن أبي حيان في مقدمة تفسيره، والدهلوي، والسيوطي في الإتقان.

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
١٥	الطاهر ابن عاشور	*من المقدمة الأولى: ١/ذكر أهمية التفسير، وكونه علما بذاته (١١-١٢). ٢/أن علم التفسير لا يخلو من قواعد كلية كالنسخ(١٣). ٣/ذكر الفرق بين التفسير والتأويل(١٦). *من المقدمة الثانية: ١/ذكر طرق التفسير، وهي : ١- أهمية التفسير بأقوال الصحابة(١٨)، وتفسير القرآن باللغة(١٩) وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين،وأتباعهم والتفسير بأسباب النزول، وكونها من مادة التفسير(٢٣-٢٧). ٢- من صور تفسير القرآن بالقرآن حمل بعض القراءات على غيرها(٢٥). *من المقدمة الثالثة : ١/بين صحة التفسير بغير المأثور، ومعنى التفسير بالرأي، ونحوه(٢٨) ٢/الرد على الشبه(٣٠). ٣/فصل في التفسير بالرأي المحمود(٣٨).	ابن عاشور المفسر المتميز بعلميته الفذة النادرة، ونظراته الإصلاحية، ومنهجه الرائع، فقد بدأ تفسيره بمقدمات عشر لتكون عونا للباحث في التفسير، وقد تضمنت أصولا هامة من أصول التفسير لا سيما فيما يتعلق بمصادر التفسير، وقواعد الترجيح

ت	المفسر	موضوعات الأصول المذكورة	وصف المفسر
١٥	الطاهر ابن عاشور	*من المقدمة الرابعة : ١/أشار إلى شروط المفسر وعنون لمقدمته بـ : فيما يحق أن يكون غرض المفسر(٣٨).٢/ ذكر طرائق المفسرين للقرآن، وجعلها ثلاثة[٤٧] (٤٢). *من المقدمة التاسعة: ١/ذكر شيئاً من قواعد الترجيح منها: حمل اللفظ على المعنى المحتمل المرجوح، وإذا تساوى المعنيان فالأمر أظهر. ٢/استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه (٩٤). ٣/أشار إلى بعض أسباب الاختلاف كالاشتراك اللفظي وحكمه(٩٨-٩٩). *من المقدمة العاشرة:١/ ذكر أنواع علاقة العلوم بالقرآن[٤٨](٤٥). ٢/ أشار إلى أهمية علم البلاغة للمفسر[٤٩](١٠٢).	
١٦	عبد الرحمن حبنكة	أشار في مقدمة تفسيره إلى أنه استخرج أربعين قاعدة من قواعد التدبر الأمثل لكتابه، وهي بمثابة أصول التفسير الأقوم للقرآن الكريم(٥)، ولم يذكرها وإنما اكتفى بالإحالة.	أشار المؤلف إلى قواعد التدبر من كتابه (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل) وهو بحق كتاب متميز فريد في ميدانه، جمع فيه أربعين قاعدة بعد تأملات واسعة، وبحوث دائبة، وأكثرها هي في أصول التفسير، فهي من أروع ما أضيف للمكتبة الإسلامية .

المبحث الثالث

جدول بموضوعات أصول التفسير، ومن كتب فيها من المفسرين رحمهم الله تعالى في مقدمة تفسيرهم.

موضوعات أصول التفسير		المفـــــسر
أهمية التفسير		مقاتل بن سليمان، الطبري، ابن كثير، ابن عاشور.
طرق التفسير	بالقرآن	الطبري، ابن كثير، ابن عاشور
	بالسنة	الطبري، البغوي، القرطبي، أبو حيان، ابن كثير، القاسمي، ابن عاشور.
	بالسلف	الطبري، القرطبي، أبو حيان، ابن كثير، القاسمي، ابن عاشور
	باللغة	الطبري، القرطبي، أبو حيان، ابن كثير، القاسمي، ابن عاشور
المفسرون من السلف، وخاصة الصحابة رضي الله عنهم		مقاتل بن سليمان، الطبري، ابن عطية، القرطبي، ابن جزي، أبي حيان القاسمي.
حكم التفسير بالرأي		يحيى بن سلام، الطبري، الماوردي، البغوي، ابن عطية، القرطبي، أبو حيان، القاسمي، ابن عاشور.
ذكر الموضوعات التي يفسر بها القرآن		مقاتل بن سليمان، الراغب الأصفهاني، البغوي، ابن عطية، ابن جزي أبو حيان، القاسمي، ابن عاشور.
أسباب الاختلاف والجمع بين الأقوال		الطبري، الماوردي، الراغب الأصفهاني، ابن جزي، القاسمي ابن عاشور.

موضوعات أصول التفسير	المفـــــــسر
الترجيح بين الأقوال	الطبري، الماوردي، ابن عطية، ابن جزي، أبو حيان، ابن كثير القاسمي ابن عاشور.
قواعد التفسير، والتدبر	الماوردي، ابن عطية، القرطبي، القاسمي، عبدالرحمن حبنكة
تعريف التفسير والتأويل	الثعلبي، البغوي، الراغب الأصفهاني، ابن عطية، القرطبي، ابن جزي أبو حيان، القاسمي، ابن عاشور.
الرد على الشبهات	الثعلبي، الراغب الأصفهاني، القرطبي، أبو حيان، ابن عاشور.
ذكر طرائق المفسرين	الثعلبي، ابن عطية، القرطبي، أبو حيان (ذكر أبو حيان الفرق بين منهج التفسير في المقدمين له والمتأخرين)، القاسمي، ابن عاشور .
أقسام التفسير الواردة عن ابن عباس رضي الله عنهما	مقاتل بن سليمان، الطبري، الماوردي، ابن كثير، القاسمي.
التفسير بالإسرائيليات	الطبري، ابن عطية، القرطبي، أبو حيان، ابن كثير، القاسمي.

المبحث الرابع
التعليق على الجداول

ومن خلال استقرائي لمقدمات هذه التفاسير وجدت أن أغلب مباحث موضوعات أصول التفسير فيها ترتكز على أربعة موضوعات رئيسية تندرج تحتها عدة مباحث، وهي كالتالي:

الأول: أهمية التفسير، وقيمته : ولا شك أن قيمة التفسير عظيمة لأنه يتبوأ من العلوم أعلى منازلها، وأشرفها، فالمفسرون أدرجوا تحته موضوعات متفرقة، وكانوا يذكرون القضايا الواحدة تلو الأخرى كذكر المفسرين من الصحابة، ومن هو مقبول تفسيره ممن هو مردود، وحكم التفسير بالرأي المذموم...الخ .

الثاني: العلوم التي يفسر بها القرآن الكريم[٥٠]، ويختلف ذكرها من مفسر للآخر ومن أهمها :

أ/ **اللغة، والنحو**، وذهبوا إلى أن كثيرا ما يتوقف فهم المعنى على معرفة الإعراب، ومن جهل ذلك وقع في أخطاء بليغة، والصحيح أن هذا الأمر فيه تفصيل كالتالي :

١-الأصل أن الإعراب مبني على المعنى، فيُفهم المعنى أولا ثم يُعرّب الكلام بناء على فهم المعنى.

٢- أن من نظر في كتب أعاريب القرآن ظهر له بعض المعاني الشاذة المبنية على أعاريب لا يحتملها كلام الله تعالى[٥١].

٣- أن الإعراب يبنى على تفسير السلف، ولا يصح ردُّ الوارد عنهم بدعوى مخالفة القواعد النحوية التي ضبطها المتأخرون بل يبحث عن الوجه الإعرابي الذي حُمل عليه الكلام عندهم[٥٢]. وعليه فإن الاهتمام بمسائل النحو التي لها أثر في المعنى مطلب ملح لتفسير القرآن إذا روعي ما سبق ذكره، فالإعراب فرع عن المعنى.

ب/ **البلاغة**، لاعتبار أن مراعاة ما يقتضيه الإعجاز أمر لازم في التفسير، فلا بد من الإشارة إلى نواحي الجمال في الآية وتحليلها[٥٣].

ولا يلزم ذلك، لأن التفسير يعني الكشف والبيان عن المعنى ولا يشترط في بيانه معرفة البلاغة، فعلم التفسير شيء، وعلم الإعجاز شيء آخر، فإذا أراد المفسر بيان المعنى والنواحي الإعجازية في الآية فلا شك أن علم البلاغة بدقائقه مما يحتاج إليه المفسر، أما إذا أراد بيان المعنى فحسب دون الإعجاز (وعليه غالب المفسرين) فإنه لا يحتاج إلى علم البلاغة بدقائقه وإنما يحتاج منه ما يتضح به المعنى.

ج/ **علوم القرآن**، وذِكر المفسرين لها يدل على أهميتها وأن كانت لها صلة مباشرة في فهم المعنى، لكن بعض هذه العلوم لا يحتاج منها المفسر إلا بقدر ما تفسر به الآية، وبعضها الآخر يحتاج إليه كله لا سيما ما تختص منها بعلوم التفسير لأن معرفتها تساعد على التفسير، كـ :

١- **أسباب النزول**، فهي مما لا يختلف المفسرون في أن معرفتها ضروري للتفسير، فمتى عرف سبب النزول فُسرت الآية واتضح معناها،

٢- **معرفة الناسخ والمنسوخ** لتقرير حكمين مختلفين في الموضوع الواحد، ومعلوم أن النسخ عند السلف لا يراد به النسخ الكلي المصطلح عليه عند المتأخرين من رفع حكم شرعي متقدم بآخر متأخر عنه، مطلقا إلا إذا دلت عباراتهم على ذلك وكان النص مما ثبت فيه النسخ بلا إشكال، أما إذا كان إطلاقهم للنسخ في الأخبار، فهو من النسخ الجزئي ويدخل ضمن تقسيمات المتأخرين من تقييد مطلق، أو بيان مجمل، أو تخصيص عام، أو استثناء من مستثنى منه[٥٤]، وعليه فلا يصح الاعتراض على ما يرد عن السلف من النسخ حتى يتبين الأمر.

٣- **المحكم والمتشابه**، فالقرآن الكريم ينقسم إلى محكم ومتشابه، فأما المحكم ما وضح معناه وعرف، وأما المتشابه ينقسم إلى قسمين: الأول متشابه كلي تشابه وخفي معناه على جميع الخلق، وهو مما استأثر الله تعالى بعلمه كالمغيبات في وقت وقوعها، وكيفيتها مثل قيام الساعة، وخروج الدابة، والدجال، والقسم

الثاني متشابه نسبي تشابه وخفي معناه على قوم، ولم يخف على غيرهم، بل عرفوا معناه، ويدخل فيه ما اشتبه معناه على الصحابة رضوان الله عليهم كسؤالهم عن معنى الظلم، وكسؤال التابعي ابن عباس رضي الله عنهما عن آيات رأى أنها يخلف بعضها بعضاً[٥٥]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما :"المحكمات ناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمن به، ويعمل به، والمتشابهات: منسوخه ومقدمه ومؤخره، وأمثاله، وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به"[٥٦].

٤- **معرفة المكي والمدني** نلاحظ أن أغلب مباحثه في علوم القرآن، وبعض تطبيقاته لها أثر في التفسير، فبعض المفسرين قد يفسر الآية المكية بحدث مدني، فإذا أعتبرها من باب سبب النزول فإنه يحتج عليه بالمكي والمدني، وإذا أعتبرها من باب التفسير فإن قوله يقبل بناء على احتمال الآية بهذا الحدث[٥٧]. وغير ذلك من علوم القرآن.

د/ **علوم أخرى كعلم أصول الدين**، فإذا كانت قواعده مقررة مأخوذة من القرآن الكريم، فمن المهم أن يرجع إليها المفسر، وإذا كانت مقررة ومأخوذة من العقل فلا، **وعلم الفقه** والملاحظ : أن المفسرين المتأخرين يفسر الآيات حسب أصوله الفقهية، والاختلاف الواقع بينهم في فهم الآية هو بسبب الاختلاف بينهم في الأصول الفقيه، **وعلم الحديث** وهو مرتبط بجانبين : جانب التفسير بالسنة، وقد سبق الحديث عنه، وجانب أصول التخريج، ومما يحسن التنبيه إليه هنا هو أن معاملة أسانيد التفسير تختلف عن معاملة أسانيد الحديث[٥٨].

الثالث: **الشروط الواجب توافرها في المفسر**[٥٩]، فبالإضافة إلى الشروط العلمية والتي سبق الإشارة إليها، اشترط بعضهم في مقدماتهم للمفسر **الشروط العقلية**: على أن يكون المفسر موهوبا ذا قدرات عقلية عالية، قوي الاستدلال حسن الاستنباط، قادرا على الترجيح...الخ، **والشروط الدينية والخلقية** من صحة الاعتقاد، والالتزام بالآداب والأخلاق الحميدة.

الرابع: أهم قواعد أصول التفسير.

فالبعض نص عليها صراحة كالشيخ محمد القاسمي، وعبد الرحمن حبنكة، والبعض الآخر ذكر مسائل منها كالماوردي، وابن عطية والقرطبي، وأبي حيان، وابن عاشور رحمهم الله جميعا.

وقد لوحظ اهتمام المتقدمين بالتنصيص على الموضوعات الثلاثة الأولى، وتصريح المتأخرين بذكر الموضوع الرابع وكلها متضمنة في مقدمات الجميع.

المبحث الخامس
الموازنة بين موضوعاتهم

أهم موضوعات أصول التفسير التي أشار إليها المفسرون	١/أهمية التفسير. ٢/ حكم التفسير الرأي (المذموم). ٣/تعريف التفسير والتأويل ، وبيان الفرق بينهما. ٤/ذكر طرق التفسير (مصادر التفسير) وهي تفسير القرآن بالسنة، تفسير القرآن بآثار السلف (الصحابة ، والتابعين، وأتباع التابعين). ٥/ بيان أهمية التفسير باللغة. ٦/ بيان أسباب اختلاف السلف، وأنواعه. ٧/الرد على أهل الزيغ، والضلالات، والشبهات. ٨/ ذكر جملة من العلوم التي بها يفسر القرآن، كأسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني ....الخ. ٩/ ذكر جملة من شروط المفسر.١٠/ ذكر المفسرون من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وغيرهم. ١١/ التفسير بالإسرائيليات.١٢/ ذكر طرائق المفسرين.

الموضوع المشترك بين جميع المفسرين بلا استثناء	لم أقف على موضوع واحد يكون مشتركا بينهم،وذكره جميعهم في مقدماتهم.
الموضوع المذكور عند غالبيتهم[٦٠]	حكم التفسير بالرأي المجرد، وقد ذهبوا إلى تحريمه، ونقلوا في ذلك نقولاً كثيرة تغلظ القول في القرآن بالرأي.
الموضوعات التي زادها المتأخرون على المتقدمين	١/ قواعد التفسير التي نص عليها القاسمي في بداية مقدمته. ٢/ قواعد التدبر التي هي قواعد لأصول التفسير لـ عبد الرحمن حبنكة في كتابه معارج التفكر ودقائق التدبر . ٣/ إضافة صورة من صور تفسير القرآن بالقرآن عمل بعض القراءات على غيرها. ٤/ صحة التفسير بغير المأثور ذكر ذلك ابن عاشور في بداية مقدمته السادسة . ٥/ بيان لأنواع علاقة العلوم بالقرآن، ذكرها ابن عاشور في مقدمته العاشرة.
اتسمت مقدمات التفاسير بالتالي	١/ ذكر الروايات مختصرة. ٢/ الاهتمام بالجانب الروائي والدرائي . ٣/ بيان أهمية القراءات، وما جاء في الآية من سبب نزول، أو نسخ، أو بيان مبهم. ٤/ بيان أهمية التفسير بالسنة و بأقوال الصحابة وباللغة. ٥/ الإشارة إلى المفسرين من السلف. ٦/ ذكر أهمية التفسير مع تغليظ القول في التفسير بالرأي المجرد.

الخـــاتمة

أحمد الله تعالى حمدا كثيرا أن يسر لي كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، وأسأله جلت قدرته أن ينفع به.

هذا وإن جهود الأمة كانت بارزة في ذكر مباحث موضوعات أصول التفسير في مقدمات تفاسيرهم، خاصة المتقدمين غير أنهم مرُّو بها مرورا سريعا، وقد فصلوا في بعض هذه الموضوعات، وهذه الجولة السريعة في جانب من نظر تراث الأمة في هذا العلم لا يمكن أبدا أن يُدَّعى إحاطتها بالموضوع إلاَّ في جزء يسير منه، مما يستدعي مواصلة الجهد لإظهار هذا التراث إلى ساحة الواقع، ودراسة تلك المقدمات دراسة تحليلية جادة. ويمكن أن نلخص إجمالا أهم نتائج هذا البحث فيما يلي :

١- هذه المقدمات بمجموعها استوعبت أصول التفسير، ولم تستوعب واحدة منها المادة كلها، لأن مؤلفها لم يقصد بها ذلك، وإنما كتبها ضمن موضوعات علوم القرآن الأخرى.

٢- اختلفت مشارب المفسرين، وتعددت طرائقهم في كتابة مقدمة تفاسيرهم، فالبعض جعلها طويلة درس فيها موضوعات مختارة من أصول التفسير، والبعض جعلها قصيرة اكتفى فيها بالإشارة إلى موضوعات هذا العلم.

٣- هذه المقدمات من نفائس ما كُتب، فقد ذُكر فيها قواعد نافعة في أصول التفسير.

٤- بدأت الكتابة في أصول التفسير ضمن مقدمات التفاسير في القرن الثاني الهجري، ثم ظهرت بعد ذلك الكتابة فيه كموضوع مستقل.

٥- انطلق علم أصول التفسير من تراث الأمة التفسيري تراث خير القرون"الجيل الراشد ومن تبعه بإحسان، وكمنت في عملهم التفسيري أساسيات علم بيان القرآن.

٥- إن الغالب على مقدمات السابقين تجميع الموضوعات، والاكتفاء بذكر الروايات، والآثار دون التطرق لبيان أنها قواعد وضوابط تضبط الموضوع المذكور.

٦- ثمة فرق واضح بين المؤلفات القديمة في التفسير والمعاصرة، لكنه فرق في الدرجة فقط وليس في النوع، لقد أضحت المؤلفات المعاصرة أقدر على تفريق قضايا علوم القرآن ومسائله، وكان جانب التخصص فيها واضحاً فمسائل علوم القرآن، تختلف عن علوم التفسير، وأصوله، عكس ما كان سائداً قبل، حيث كانت مقدمات التفاسير السابقة مشحونة بقضايا علوم القرآن عامة، والتي منها أصول التفسير.وما ذاك إلا لأن تناولها عند مؤلفيها كان عرضا لا غرضا في غالبها.

٧- تجميع هذه الأصول من مقدمات التفاسير يكسب هذا العلم مزيدا من التحرير، والتأصيل.

٨- إن وجهات نظر المفسرين تختلف في تحديد مباحث موضوعات أصول التفسير، وكانت للمتقدمين نظرة عامة حول موضوعاته ، ونظرة خاصة للمتأخرين لموضوعات معينة منها.

٩- جمهور الأمة خلفا وسلفا تناولوا مباحث موضوعات أصول التفسير.

١٠- يجب علينا استشعار جهود العلماء المسلمين وعنايتهم بالقرآن الكريم لفظًا ومعنى، ومن ذلك عنايتهم بعلم أصول التفسير.

١١- هذا العصر أحوج ما يكون إلى هذا العلم لكثرة ما انتشر فيه من أخطاء شنيعة وتأويلات فاسدة لا يوجِّهها إلا الهوى ولا يقودها إلا الجهل.

١٢- أغلب المفسرين السابقين كان ذكرهم لمباحث علم أصول التفسير في مقدماتهم عرضا لا غرضا.

وقد أظهرت هذه الدراسة مدى أهمية إبراز جهود علمائنا السابقين، وعدم بخسهم حقهم في بيان عنايتهم بتجلية موضوعات القرآن الكريم، وكون مصطلح "أصول التفسير" ما عرف إلا في العصر الحاضر لا ينفي عدم وجود هذا العلم لدى الأقدمين، بل كانت لهم العناية المتميزة والجهود المشكورة والأيادي العلمية

المشرقة، من حيث ذكر مباحث موضوعات هذا العلم والنظرة المقدمة في البحث من تجلية عناية المفسرين السابقين واللاحقين لهذا العلم قليل من كثير مما في تراث الأمة.

- **توصية:**

دراسة مناهج المتقدمين لا سيما المفسرون واستخراج مباحث علم أصول التفسير من مقدمات تفاسيرهم ومن تطبيقاتهم في تفاسيرهم ومن كتب علوم القرآن وكتب أصول الفقه والموازنة بينها وبين كتابات المعاصرين في علم أصول التفسير من حيث منهجية العرض.

وختاماً أحمد الله جل جلاله على ما يسّر وسهّل، وأسأله أن يغفر زللي وتقصيري، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب فضائل القرآن، باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(٨٠٣٧) (٢٦/١٧).

(٢) ينظر: تفسير القرآن، لابن عثيمين، باب أصول في التفسير (١/١).

(٣) بحوث في أصول التفسير، لمحمد الصباغ (١٠-١١).

(٤) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، تحقيق محمود نصار (٤٣).

(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس (٥٠٤/٤)، وينظر مادة (فسر) في معاجم اللغة.

(٦) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، لمساعد الطيار (٦٤)، ومما قيل في تعريف التفسير:"إنه علم يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه".الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٧٤/٢).

(٧) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (ص:٩٩)، ومقاييس اللغة (١٥٨/١).

(٨) ينظر: فتاوى ابن تيمية، مقدمة التفسير (٢٨٨/١٣).

(٩) مسند أحمد بن حنبل (٢٣٩٧) (٢٦٦/١) .

(١٠) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٠٣/٦).

(١١) مقدمة تفسير الطبري، باب (فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا) (٩٠/١).

(١٢) ينظر: تهذيب الآثار، للطبري، مسند ابن عباس – رضي الله عنهما -، السفر الأول (١٨٣).

(١٣) فتاوى ابن تيمية، مقدمة التفسير (٢٨٩/١٣).

(١٤) تفسير الطبري (١٣٠:٢٣).

(١٥) ينظر: مفهوم التفسير والتأويل(٩٨).

(١٦) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود (٣٨١/٣).

(١٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للشيخ: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (١٤٦/٢)، ومباحث في علوم القرآن، للأستاذ/ مناع القطان (٣٢٥-٣٢٦).

(١٨) ينظر: فتاوى ابن تيمية، مقدمة التفسير (٢٨٤/١٣-٢٨٩).

(١٩) ينظر: مباحث في القرآن (٣٢٧-٣٢٨)، ومفهوم التفسير، والتأويل (١٠٨-١٤٦)، بتصرف.

(٢٠) ينظر: لسان العرب (١٥٥/١).

(٢١) ينظر: بحوث في أصول التفسير (١١)، وفصول في أصول التفسير، لمساعد الطيار (١٢).

(٢٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن، لمساعد الطيار (٥٣-٥٤) بتصرف.

(٢٣) والتي يعبر عنها بعض المفسرين بمصادر التفسير.

(٢٤) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (٩٣).

(٢٥) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين (٤٢/٢٣).

(٢٦) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ (٣٤٣/١٥).

(٢٧) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٤٠٥/١٢).

(٢٨) التفسير والمفسرون (٦١/١-١٢٨)، وفصول في أصول التفسير (٣١-٤٥).

(٢٩) ينظر: التفسير والمفسرون، (١٧٧/١)، ومباحث في علوم القرآن (٣٦٥) بتصرف.

(٣٠) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٧٤/١٢).

(٣١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ (٤٤٩/١٤).

(٣٢) قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث في فتح الباري (١٢٠/٨): "وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به".

وقال عن الحديث الثاني: "أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه، أو كذباً فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد عن النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله".

(٣٣) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية (٩٩).

(٣٤) التفسير والمفسرون (١٧٩)، ومقالات في علوم القرآن، وأصول التفسير، لمساعد الطيار (١٩١-٢٠٦).

(٣٥) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (١٠٢)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٨٠/٢)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (٣/٢).

(٣٦) ينظر :بحوث في أصول التفسير (٨٦-١٠٨)، وشرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، شرحه د/ مساعد الطيار (٥٩-٨٠) بتصرف.

(٣٧) من أشهر من أفرده بالتصنيف من المتقدمين شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (مقدمة في أصول التفسير)، ومن المتأخرين الشيخ عبد الحميد الفراهي – من علماء الهند- بعنوان (التكميل في أصول التأويل).

(٣٨) في كتابه: التفسير ورجاله (٣٦)، ولتفسير يحيى بن سلام مختصرات، فأول مختصر له تفسير هود بن محكم ت (٣٨٠هـ)، وبعده تفسير ابن أبي زمنيين ت (٣٩٩هـ).

(٣٩) هذا رقم الصفحة من المقدمة، ولم أشر إلى الأجزاء اختصاراً، لأنه من المعروف أن المقدمات تقع في الجزء الأول.

(٤٠) من ذلك: ما ذكره في بيان معنى قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ وأن الاختلاف هنا كان بسبب الاشتراك اللغوي (٩٢)، وفي ص (٩٤) كان السبب اختلاف صيغ التعبير والمعنى واحد، وذلك في تأويل لفظ الفرقان حيث قال :" وأما تأويل اسمه الذي هو فرقان فإن أهل التفسير جاء في ذلك بألفاظ مختلفة هي في المعاني مؤتلفة".

(٤١) منها:" ١- أن يكون أحد المعنيين مستعملا في اللغة، والآخر مستعملا في الشرع، فيكون حمله على المعنى الشرعي أولى من حمله على المعنى اللغوي.

٢- أن يكون أحد المعنيين مستعملا في اللغة، والآخر مستعملا في العرف، فيكون حمله على المعنى العرفي أولى من حمله على المعنى اللغة لأنه أقرب معهود.

٣/ أن يكون أحد المعنيين مستعملا في الشرع، والآخر مستعملا في العرف، فيكون حمله على معنى الشرع أولى من حمله على معنى العرف لأن الشرع ألزم".

(٤٢) قال الماوردي :" أن يتنافى اجتماعهما-أي المعنيين- ولا يمكن استعمالهما كالأحكام الشرعية مثل القرء الذي هو حقيقة في الطهر، وحقيقة في الحيض، ولا يجوز للمجتهد أن يجمع بينهما لتنافيهما، وعليه أن يجتهد رأيه في المراد فيهما بالأمارات الدالة عليه".

(٤٣) حيث قال بعد أن فصل في ذكر العلوم:"فجملة العلوم التي هي كالآلة للمفسر، ولا تتم صناعة إلا بها، هي هذه العشرة: علم اللغة والاشتقاق، والنحو، والقراءات،والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة"(٩٦/١).

(٤٤) وهي (١-اختلاف القراءات ، ٢-واختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات، ٣-اختلاف اللغويين في معنى الكلمة، ٤-اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر، ٥- احتمال العموم والخصوص،٦- احتمال الإطلاق أو التقييد،٧- احتمال الحقيقة أو المجاز،٨- احتمال الإضمار أو الاستقلال ٩- احتمال الكلمة الزائدة،١٠- احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير، ١١- احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما ١٢- اختلاف الرواية في التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن السلف رضي الله عنهم).

(٤٥) وهي : (١- تفسير بعض القرآن ببعض، ٢- التعويل على حديث النبي صلى الله عليه وسلم، لا سيما الصحيح منه، ٣- أن يكون القول قول الجمهور فأكثر، ٤- أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس، ٥- أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب، والتصريف أو الاشتقاق، ٦- أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ، ٧- أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه، ٨- تقديم الحقيقة على المجاز، ٩- تقديم العموم على الخصوص، ١٠- تقديم الإطلاق على التقييد، ١١- تقديم الاستقلال على الإضمار، ١٢- حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير).

(٤٦) وهي (التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان).

(٤٧) ذكر ثمانية وجها من وجوه التأويل وهي :النظر في أساليب الكتاب، وما فيه من أنواع البلاغة، والإعراب، وتتبع القصص، وغريب القرآن والأحكام الشرعية، والكلام في أصول العقائد، والمواعظ والرقائق، والتفسير بالإشارة.

(٤٧) وهي كما قال:"إما الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه، وهذا هو الأصل، وإما استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن،....، وإما أن يجلب المسائل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى...الخ".

(٤٨) حيث قال :"إن علاقة العلوم بالقرآن على أربع مراتب: الأولى: علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة. الثانية: علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات. الثالثة: علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق. الرابعة: علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر والعيافة وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي".

(٤٩) حيث قال:" إن علاقة هذه المقدمة-أي العاشرة- بالتفسير هي أن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغا حد الكمال في غرضه مالم يكن مشتملا على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آيه المفسرة بمقدار ما تسمو إليه الهمة من تطويل واختصار، فالمفسر بحاجة إلى بيان ما في آي القرآن من طرق الاستعمال العربي وخصائص بلاغته وما فاقت به آي القرآن في ذلك".

(٥٠) ولو اتسع وقت البحث ومساحته لذكرت العلوم التي ذكرها كل واحد من المفسرين في مقدماتهم، ولعقدت موازنة بينهم، وفي النية- إن شاء الله تعالى استكمال ذلك.

(٥١) من ذلك: رد أبي حيان التفسير الوارد عن السلف (ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة) –رضي الله عنهم-، تفسير الطبري (١٦/٣٥-٣٧) في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[يوسف٢٤] حيث قال :"والذي رُوي عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب، لأنهم قدّروا جواب لولا محذوفا، ولا يدل عليه دليل لأنهم لم يقدروا: لهم بها ...الخ"البحر المحيط (٦/٢٥٨).

(٥٢) ينظر: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن، لمساعد الطيار (٥١).

(٥٣) ومن المفسرين الذين أشاروا إلى أهمية معرفة علم البلاغة للمفسر في مقدمات تفاسيرهم هم : الزمخشري، وابن جزي، وأبو حيان، وابن عاشور.

(٥٤) وقد نبه على مفهوم النسخ عند السلف جمع من العلماء منهم الإمام الشاطبي رحمة الله عليه في الموافقات (٣/٧٣-٧٤)، حيث قال :"الذي يظهر من كلام المتقدمين أن النسخ عندهم في الإطلاق أعم منه في كلام الأصوليين، فقد يطلقون على تقييد المطلق نسخا، وعلى تخصيص العموم بدليل متصل أو منفصل نسخا ...الخ ".وذكر أمثلة لقضايا النسخ على مصطلح السلف وبين المراد منها.

(٥٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٤/١٣٣٥-١٣٣٧)، وأنواع التصنيف (٩٥-٩٦).

(٥٦) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/٥٩٢).

(٥٧) ينقل كلام ابن عطية في (وإذ يمكر بك الذين) الأنفال.

(٥٨) إن جمهور علماء الأمة من المحدثين والمفسرين وغيرهم ممن تلقى التفسير استفاد من روايات التفسير، واعتمدها في فهم كلام الله تعالى. وأئمة المحدثين كانوا يفرقون بين أسانيد الحلال والحرام، وأسانيد غيرها من حيث التشديد والتساهل، قال عبد الرحمن بن مهدي : "إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال تساهلنا في الأسانيد، وتسامحنا في الرجال، وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام تشدّدنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال" دلائل النبوة، للبيهقي (١/٣٤).

(٥٩) وأفردتها بالذكر لأنها كذلك عند بعض المفسرين كالراغب الأصفهاني، والقرطبي، وأبي حيان، وابن عاشور.

(٦٠) الذين لم يصرحوا به مقاتل، والراغب، وابن جزي، لكنه كان متضمنا في مقدمته.

المصادر والمـــراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق مركز الدراسات القرآنية- المملكة العربية السعودية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف- مجمع الملك فهد للطباعة.

٢. أنواع التصنيف المتعلقة بتصنيف القرآن الكريم، لـ د/ مساعد بن سليمان الطيار، دار بن الجوزي، ط٢ ١٤٢٣هـ.

٣. البحر المحيط، لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٤. بحوث في أصول التفسير، لـ د/ محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط١. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٦. التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أبي أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٤ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٧. تفسير القرآن الكريم ، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر،ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء، مؤسسة الريان، بيروت ط٤، ١٤١٨هـ.

٩. تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٠. التفسير ورجاله، لمحمد الفاضل بن عاشور، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.

١١. التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

١٢. تفسير يحيى بن سلام، تقديم وتحقيق د/ هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٣. تهذيب الآثار، للطبري، تحقيق : محمود شاكر، مسند ابن عباس، السفر الأول، مطبعة المدني.

١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٥. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٦. دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق عبد الرحمن عثمان، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٧. شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، شرحه د/ مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي ط٢، ١٤٢٨هـ.

١٨. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٩. فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية

٢٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٢١. فصول في أصول التفسير، لـ د/ مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط٣، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود الزمخشري وفي حاشيته كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٢٣. الكشف والبيان = تفسير الثعلبي، لأبي إسحاق أحمد الثعلبي، دراسة وتحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة: أ/ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢٤. لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٥. مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦. المحرر في علوم القرآن، لـ د/ مساعد بن سليمان الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، ط٢ ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي أحمد بن عبد الحق ابن عطية الأندلسي، دار الأندلس الخضراء، جدة دار بن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، بإشراف د/ عبد الله التركي، ط٢ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٩. معارج التفكر ودقائق التدبر، لـ د/ عبد الرحمن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٠. معالم التنزيل ، لأبي محمد مسعود البغوي، تحقيق محمد النمر وآخرين، دار طيبة ، الرياض، ١٤٠٩هـ

٣١. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، نشر: اتحاد الكتّاب العرب، مصر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣٢. مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، لـ د/ مساعد بن سليمان الطيار، دار المحدث، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٣. مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، لأبي قاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق وتعليق: أحمد حسن فرحات.
٣٤. مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمود محمد نصار، مكتبة التراث الإسلامي، مصر.
٣٥. مفهوم التفسير والتأويل والإستنباط والتأويل الميسر، لـ د/مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط٢ ١٤٢٧هـ.
٣٦. الموافقات للشاطبي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد.
٣٧. النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تعليق: عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، ودار الكتب العلمية، بيروت.